قراءة

كاميلا غِب في هجرة الأرواح وعودتها

رواية حجيج إثيوبيا

من خلال حكاية تدورُ فصولُها بين انكلترا وافريقيا زمنَ سقوط الإمبراطورية الاثيوبية، تُعالج رواية الكاتبة الكندية، «حجيج الروح»، التي صدرت ترجمتُها العربية حديثاً، قضايا اللجوء والتشرُّد الديني والتمييز العرقي والديني والاجتماعي

سومر شحادة

إلى جانب كونها وثيقةً عن إثيوبيا، تستوحي رواية «حجيج الروح» مِنَ الخيال؛ فالروائية الكندية كاميلا غِب (1968) تبني حكايةً مُتخيّلة لسيّدة إثيوبية من الطرَز القديم تعيش في لندن، إبّان سقوط حكم إمبراطور الحبشة وتغيّر نظام الحكم في بلادها.

في الرواية الصادرة عن «دار فواصل» بترجمة عدي جوني، لا تُولد ليلي إثيوبيّة، وإنّما تصبح كذلك. وفي هذا الخيار الروائي الذي تنحوه، تستدعي الكاتبة التقاليد والعادات الإثيوبية وأنماط العيش. نشأت ليلي في المغرب لأبوَين إنكليزيّين، ووصلت إلى إثيوبيا في ما تشير إليه الكاتبة بأنّه «حجيج النجاة»؛ إذ تنطوي الرواية على جانب روحاني، ويُمثّل انتقال ليلي مِن المغرب إلى إثيوبيا ارتحالاً ضمن المعتقدات، وتُشكّل الصوفيّة أكثر المعتقدات رسوخاً بالنسبة إليها. فالكاتبة، تستخدمها كي تحاجج بها تياراً آخر من الإسلاميّين النشطين في أوروبا، لكنّ حجيج النجاة عند ليلي ليس هجرةً إلى الأولياء الصالحين فحسب، وليس تعبُّداً أو مساعدة للآخرين عبر التعليم والتمريض، وإنّما يشمل تجربتها الشخصيّة، وتغيُّر أفكارها عن الحُبّ والعائلة والأصدقاء، عن الإيمان، وتقتل صراعات الجسد الذي تنهشه الرغبة من جهة، والذنب من جهة ثانية. وبين هذين القطبين الحادّين اللذين يرهقان الإنسان، تختبرُ ليلي نوازع عديدة مثل الحرّية الشخصية، والانتماء إلى الجماعة عن طريق الخضوع للعُرف، وتمريره إلى الأخريات، أو الوقوف في وجه العُرف - بقدر ما استطاعت - وإيقاف سلسلة القيود الاجتماعية عن تقييد فتيات جديدات. تُساعد المصاعبُ ليلي على اكتشاف نفسها، حتّى أنّها تعينها على نفسها، فمعرفة الذات في بلدان تغيب فيها قيمة الحرّية الفرديّة، معرفةٌ شاقّة. وحجيج الروح ما هو إلّا رحلة عَنيدة إلى النفس.

تُوزّع الروائيةُ الكنديّة حكايتها، التي تقع في 384 صفحةً، إلى فصول بين إنكلترا وإثيوبيا، وعلى سنوات تلي اللجوء إلى إنكلترا بين عامي 1981 و1991، وأثناء إقامتها في إثيوبيا بين عامَي 1970 و1974. لكن، تنقطع الحكاية ما بين الفترتَين، انقطاعاً لهُ ما يُسوّغه. سنوات انقطاع الحكاية أحدثته صدمة اللجوء، إذ لا يكون اللاجئ مستعدّاً للحديث عن الماضي، خصوصاً أنّ ليلي غرفت عنف الحبّ مِنْ جَزاء عاطفتها المتّقدة لرجل في عِداد المفقودين، وعنف العسكر في سنوات حكم المجلس العسكري بعد الإطاحة بالإمبراطور هيلا سيلاسي؛ حيث تكشّف أمامها زيف المزاعم عن محاربة المجاعة والأمراض في البلد الأفريقي الذي اعتبرته موطنها، على الرغم من بشرتها البيضاء التي منحتها سلطةً على اللاجئين الآخرين في بريطانيا؛ حيثُ تُعرّف ليلي عن نفسها بأنّها «مسلمة بيضاء نشأت في أفريقيا».

وتدور الرواية عَقِب ذلك التعريف في الفضاء الذي تصنعه العبارة؛ إذ تعالج الكاتبة بهذه الشخصية المسلمة البيضاء التي نشأت في أفريقيا السمراء قضايا التمييز العرقي والديني والنوع الاجتماعي. إنّها شخصية يمكن أن يُقال عنها، روائياً، رابحة وكيفما تحرّكت تصنع دلالة ما.

توفي والدا ليلي، الركّالتان، عندما كانا في طفولتها، لتبدأ رحلتها من هناك، وهي في عمر الثامنة، تتلقّى دروس الدين عن طريق شيخ يتبع الطريقة الصوفيّة، وتعيش في جوار مزار وليّ إثيوبي. ثمّ تضطرّ للهروب إلى مدينة هرر في إثيوبيا بسبب تغيّرات سياسيّة في المغرب أواخر الستّينيات، وتصل إلى هرر وهي في عمر السادسة عشرة، لتبدأ تجربة الاندماج في بيئةٍ تنظر إليها - على الرغم من التزامها الديني - على أنّها «إفرنجية»، إلّا أنّها وعلى الرغم من كونها لم تعش سوى أربع سنوات في إثيوبيا، سوف تعتبر إثيوبيا وطنها. وعندما تصل إلى بريطانيا تتشارك الواجبات المنزلية مع جارتها أمنة، الإثيوبيّة، التي بدورها، أُجبرت على الهروب من وطنها. وتصف ليلي علاقتهما بأنّهما الأخريَين، بخاف حتّى من أطفاله. وكانت أمنة قد رأت في شامة طفلتها خريطة أفريقيا، مع أنّ حملها في مخيم اللجوء، من طبيب هناك، كان سبيلاً قهريّاً للخروج من أفريقيا.

أثناء إقامة ليلي في إثيوبيا تتعرّف على وجه العنف الذي يمثّله الشيخ باسم الإسلام، في حين أنّه يمثل الجهل أكثر من أي شيء آخر. وتأخذ على عاتقها البُرهان - لنفسها قبل الآخرين - أنّ الإسلام «هدية» إلى الأجيال. تُوكل الكاتبة إلى ليلي الإفرنجية هذا البُرهان. فتواجه ليلي خطوةً خطوةً العادات، بتعريتها عن الدين، والجهل، بتعليمها للأطفال، وباللجوء إلى المستشفى؛ حيثُ تبدأ من هناك حكايتها مع الدكتور عزيز، الوجه المنفتح للإسلام، الذي يمثّل العلم، بفضله ما هو مُقدّس دينياً عن الثقافة المحلية المُتوارثة؛ فعزيز يؤمن بالإسلام، لكنّه يؤمن بالعدالة التي أحضرها كارل ماركس أيضاً. لكن حتّى في بريطانيا تبقى قراءة القرآن وسط العائلة تعني لليلي الطمأنينة، فيما بدا تصالحاً مع تجربتها. وكانت استعارات تشبيهاً من الأدب عن الآخرين، بخاف حتّى من أطفاله. وكانت أمنة قد رأت في شامة طفلتها خريطة أفريقيا، مع أنّ حملها في مخيم اللجوء، من طبيب هناك، كان سبيلاً قهريّاً للخروج من أفريقيا.

أثناء إقامة ليلي في إثيوبيا تتعرّف على وجه العنف الذي يمثّله الشيخ باسم الإسلام، في حين أنه يمثل الجهل أكثر من أي شيء آخر. وتأخذ على عاتقها البُرهان - لنفسها قبل الآخرين - أنّ الإسلام «هدية» إلى الأجيال. تُوكل الكاتبة إلى ليلي الإفرنجية هذا البُرهان. فتواجه ليلي خطوةً خطوةً العادات، بتعريتها عن الدين، والجهل، بتعليمها للأطفال، وباللجوء إلى المستشفى؛ حيثُ تبدأ من هناك حكايتها مع الدكتور عزيز، الوجه المنفتح للإسلام، الذي يمثّل العلم، بفضله ما هو مُقدّس دينياً عن الثقافة المحلية المُتوارثة؛ فعزيز يؤمن بالإسلام، لكنّه يؤمن بالعدالة التي أحضرها كارل ماركس أيضاً. لكن حتّى في بريطانيا تبقى قراءة القرآن وسط العائلة تعني لليلي الطمأنينة، فيما بدا تصالحاً مع تجربتها. وكانت استعارات تشبيهاً من الأدب عن نفسها، وهو أنّها عاشت مثل «أليس في بلاد العجائب» إشارة إلى الحياة التي عاشتها بعد وفاة والديها. أمّا النسبة إلى الإثيوبيّين فإنّ انهيار إمبراطورية حكمت لمدّة ألفي عام، هو السقوط في مرآة العجائب.

بعد سبعة عشر عاماً من الرعب، تستمر حياة ليلي في بريطانيا. في داخلها امرأة إثيوبية تنتحب عند سماعها أخبار بلادها، وامرأة إنكليزية تستقبل أخبار الغائبين، خرساء وصامتة. فالرواية التي ترصد هجرة الأرواح، ترصد أيضاً عودتها المؤلمة؛ إذ بقي لكلّ ناجٍ شخصٌ ما، يفتقده في إثيوبيا؛ «البلد الذي يعيش فيه المفقودون». «يبقى كلّ واحدٍ منّا مذنباً بنظر الآخر. فإن كنتَ أمريكياً، فأنت مذنبٌ بدعم ديكتاتورية متوحّشة؛ وإن كنت أوروبياً، فأنت مذنبٌ بمعاداة الثورة، وإن كنت هربياً، فأنت متّهمٌ بتكديس الثروة واستغلال الفلّاحين. إما إن كنت لاجئاً، فأنت مذنبٌ بارتكاب أسوأ الجرائم على الإطلاق: التخلّي عن بلدك، وأولئك الذين تحبّهم».

(كاتب من سورية)

كاميلا غِب، في باريس عام 2004 (Getty)

في داخلها إثيوبية تنتحب لأخبار بلادها وانكليزية صامتة

بعد 17 عاماً من الرعب، تستمر حياة ليلي في بريطانيا

بطاقة

وُلدتْ كاميلا غِبْ Camilla Gibb في لندن، ونشأت في تورونتو الكندية حيث حازت على بكالوريوس في الأنثروبولوجيا ودراسات الشرق الأوسط من جامعتها، ثمّ دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية من «جامعة أوكسفورد». نالت روايتها الأولى «بوحُ الكلمات» (1991) «جائزة تورونتو للكتاب» عام 2000، وحقّقت روايتها «حجيج الروح» (2010) انتشاراً واسعاً؛ حيث تُرجمت الى عدّة لغات، وحُوّلت الى فيلم سينمائي.

مفكرة المترجم

إتاحةُ الفكرة وليس الترويج لها

عبد الرحمن عادل

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم الترجمية وأحوال الترجمة الى اللغة العربية اليوم

الاسكندرية ـ **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

بدأت حكايتي مع الترجمة مع مشروع تخرُّجي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، كان بحثاً في النظرية السياسية عن كارل شميت. حينها لم تتوفّر ترجمات لأعماله، فكان عليّ ترجمة أجزاء منها. كانت تجربةً ممتعةً جعلتني أتحيّن الفرصة لأوّل بداية عملية، والتي أتت مع ترجمة وثائقي بعنوان The Century of the Self مع أحد أصدقائي، ثم بدأت رحلتي مع مجال الترجمة الصحافية، إلى أن وجدتُ فرصةً في عالم النشر.

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجم الآن؟

كتاب «في ظلّ شجرة عثمان» لأستاذ ورئيس قسم التاريخ في «جامعة ييل» الن ميخائيل، هو آخر ترجماتي المنشورة، وقد صدر عن «الدار العربية للعلوم ناشرون». حالياً، أعمل على ترجمة كتاب آخر للمؤلّف نفسه.

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

الترجمة ليست عملاً، تلك هي الحقيقة التي رفضتُ القبول بها لفترة طويلة، وهي ذاتها العقبة الأولى أمام أي مترجم. ولذلك أسباب عدّة؛ منها مثلاً دورة الكتاب منذ أن تقع عيني عليه إلى أن يُنشر، وبينهما انتظار ربّما لن تشهد نهايته. فكثير من الناشرين يُحجم عن التعامل معك إن لم تكن اسماً كبيراً بالفعل - وكأنّ هؤلاء قد وُلدوا على هذه الشاكلة - او لن يُعيرك اهتماماً ما لم تكن تحمل من الألقاب الأكاديمية ما يقيه عناء التعريف بك، وبعض الدُّور الكبيرة تقبل بالعمل مع الأكاديميّين دون التحقّق من أهلية هؤلاء المترجمين، ثم يكتشفون أنّ الترجمة لا تصلح للنشر، وتُرسل إلى مترجم آخر. وهكذا تدفع أجر الترجمة مرّتَين! ومن تلك الأسباب أيضاً ضعف المقابل المادي كما هو معروف، ومحدودية سوق الكتاب.

■ هناك قول بأنّ المترجم العربي لا يعترف بدور المحرّر، هل ثمّة من يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء، منها؟

بالطبع، فكما قال القاضي الفاضل: «إنّي رأيتُ أنّه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلّا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن ولو زِيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا كان أجمل»، في لحظة معيّنة، تألف عيني الترجمة حتى أكاد لا أرى أخطاءً واضحة. المحرّر هو عيني الثانية، ومن دونه لا أرى الترجمة صالحةً للنشر، ومن حسن حظّي أنّ لي صديقَين يتحمّلان منّي ما لا يُطاق من أجل تحرير أيّ نصّ أخرجه.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، لا سيما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

أمّا عن مسألة اختيار العناوين، فعادةً أختار العناوين بنفسي، وأتواصل مع المؤلّف صاحب الكتاب وأبيّن رغبته وموقف الحقوق ثم أتواصل مع الناشرين.

كلّ ما اطمح إليه كمترجم هو ان اجد فُرصاً لترجمة ما احبّ

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك للأعمال التي تُترجمها، وإلى أيّ درجة تتوقّف عند الطرح السياسي للمادّة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

اتصوّر أنّ الجانب السياسي حاضرٌ دائماً في ما يخصّ النشر في العالم العربي، وأحياناً يتسبّب في منع مشاريع ترجمة. أمّا بعيداً عن هذا الجانب، فالأمر متوقّف على طبيعة المادّة نفسها وسياق نشرها بالعربية، فربما يكون النص الأصلي أو صاحبه مرتبطاً بمواقف سياسية أختلف معها، ولا يمنع ذلك من ترجمة النصّ لعرض الفكرة وإتاحتها وليس الترويج لها. وإن كنتُ ستختار الترجمات عامّةً من باب اتفاقك معها سياسياً، فأمامك باب التأليف وانطلق.

■ كيف هي علاقتك مع الكاتب الذي تترجم له؟

استرشاد واستعلاء إن جازَ التعبير. أرجع إلى المؤلّف - وما وسعني ذلك - كلّما استعصى عليّ فهم النصّ. وفي الوقت نفسه، أحرص على وضع مسافة تفصلني عن المؤلّف ونصّه حتى لا أصير أسيراً لأسلوبه وتراكيبه، وتكون النتيجة نصّاً عربيّاً يقابل الإنكليزيّ نعم، لكنّه لا يُفهم من دونها. وبشكل عام، حظيتُ بتجارب جيّدة مع المؤلّفين لا سيما آلن ميخائيل؛ فقد ساعدني بكلّ طريقة ممكنة، وكان مُعيناً لي على مستويات مختلفة إلى حدّ لم أتخيّله.

عبد الرحمن عادل

بطاقة

مترجم مصري من مواليد عام 1992. تخرّج من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في القاهرة عام 2015. يعمل مترجماً صحافياً منذ عام 2016، وصدرت له عدّة ترجمات لأوراق بحثية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانيات منها: «النيوليبرالية بوصفها تدميراً خلّاقاً» لـ ديفيد هارفي، و«المركزية الأوروبية وتمثّلاتها: مأزق العلوم الاجتماعية» لـ إيمانويل والرستين. كما صدرت له ترجمة بعنوان «الشريعة وتحديات الحداثة» تحرير إيفون يزبك باربارا إشتوفازر عن «عالم الأدب» عام 2019، وكتاب «في ظلّ شجرة عثمان» لـ آلن ميخائيل عن «الدار العربية للعلوم ناشرون» عام 2021. يعمل حالياً على ترجمة كتاب آخر للمؤلّف نفسه.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

معرض

العودة إلى مصر صُوَر من ارشيف البرازيل

على خُطى دوم بيدرو الثاني

قدّم المعرض، الذي اختُتم أمس، إضاءةً على مصر خلال القرن التاسع عشر، من خلال مجموعة صور جمعها الإمبراطور البرازيلي أثناء رحلته إلى مصر

القاهرة ـ **العربي الجديد**

خلال فترة حُكمه التي استمرّت قرابة خمسين عاماً، بين 1831 و1889، قام الإمبراطور البرازيلي، دوم بيدرو الثاني (1825 - 1891) بزيارتَين إلى الشرق: الأولى عام 1871، وقادته إلى مدينتَي القاهرة والإسكندرية في مصر، والثانية عام 1876، وشملت مناطق من لبنان ودمشق وفلسطين ومصر مرّةً أخرى، ثمّ السودان. على أنّ تينك الزيارتَين لم تكتسبا صفةً رسمية، بل كانتا ضمن رحلاتٍ شخصية، لاكتشاف المنطقة، ومشاهدة معالمها، والتعرُّف إلى شعوبها وثقافاتهم عن قُرب.

خلال الرحلتَين اللتَين يقال إنّه تعلّم خلالهما اللغة العربية، سجّل الإمبراطور البرازيلي يومياته التي دوّن فيها انطباعاته عن الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية والأنثروبولوجية والأثرية والدينية واللغوية عن المنطقة، كما أنجز عدداً من اللوحات التي رسم فيها الآثار التاريخية والمناظر الطبيعية التي شاهدها، وجمع عدداً كبيراً من الصُّوَر؛ من بينها قرابة 500 صورة عن مصر التي كانَ أوّل رئيس دولة من الأميركيَتين يقوم بزيارتها.

«العودة إلى مصر: مجموعة برازيلية من الصُّوَر الفوتوغرافية» هو عنوان المعرض التوثيقي الذي أقيم في «مركز الجزيرة للفنون» بالقاهرة بين الثالث، والثلاثين من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، وقدّم إضاءةً على مصر خلال القرن التاسع عشر، من خلال مجموعة من الصور الخاصّة بالإمبراطور البرازيلي والتي تضمّ أكثر من عشرين ألف صورة تحتفظ بها «المكتبة الوطنية» البرازيلية في ريو دي جانيرو.

تضمّن المعرض، الذي أقيم تزامُناً مع مرور مئة وخمسين عاماً على الرحلة الأولى، قرابة تسعين صورةً من مجموعة دوم بيدرو الثاني، التقطها مصوّرون فرنسيون وبرازيليون، تُوثّق لملامح الحياة في مصر خلال تلك الفترة؛ إذ تُجسّد الصُّوَر مناظر طبيعية في الأرياف والمدن، ومعالم ومواقع أثرية؛ مثل قصر الجزيرة، وقصر الوالي إسماعيل باشا، ومشاهد من الحياة اليومية للسكّان في الإسكندرية، والجيزة، والإسماعيلية، والسويس، وأزيائهم وعاداتهم.

هذه هي المرّة الثانية التي يُعرض فيها مجموعةُ الإمبراطور البرازيلي التي أهداها لـ«المكتبة الوطنية» في بلاده، وظلّت محفوظةً طيلة أكثر من مئة سنة، ولم تُعرض إلّا عام 2003. وبحسب المنظّمين، فهي تُمثّل أقدمَ صُوَر فوتوغرافية لمصر. لكنّ المعرض اكتفى بعرض نُسخة طبق الأصل عالية الدقّة، بينما كان مقرّراً في البداية عرضُ الصُّوَر الأصلية، وهو ما علّله المنظّمون بتداعيات جائحة كورونا.

إلى جانب الصُّوَر، تضمّن المعرض أيضاً أجزاء من مذكّرات دوم بيدرو الثاني التي دوّنها خلال إقامته في مصر، ووثّق فيها مشاهداته للمعابد والمعالم التاريخية، ومشهد غروب الشمس، وانطباعاته عن المصريين وسلوكياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، إلى جانب ثلاث خرائط لمصر والعالم، ووثيقة تتضمّن قائمة المأكولات التي تضمّنتها مأدبة عشاء أقامها الخديوي إسماعيل في قصره على شرف ضيفه البرازيلي وزوجته في السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر 1871.

اكتفى المعرض التوثيقي بنَسخ طبق الأصل عن الصُّوَر الأصلية

من المعرض

فعاليات

تُعرض، عند السادسة والنصف من مساء اليوم الاربعاء، مسرحية **حفنة تراث** على خشبة «مسرح الشمس» في عمّان، ويُعاد عرضها في الموعد نفسه السبت المقبل. العمل نتاج ورشة «برنامج الانتاج المستقل» للمسرح، وهي مقتبسة عن كتاب «معلمة للتراث الاردني» للكاتب الاردني **روكس بن زائد العزيزي** (1903 - 2004/ الصورة).

حتى نهاية شباط/ فبراير المقبل، يتواصل معرض **محلّات** للفنّان التشكيلي القطري **يوسف احمد** (1953) في «متحف محمد بن جاسم» بـ«متاحف مشيرب» في الدوحة. يتضمّن المعرض خمسا وثلاثين لوحة تمزج بين الرسم والحروفيات، وتوثّق طرز عمارة الاحياء والمحلّات والبيوت القديمة في منطقة مشيرب بالعاصمة القطرية، والتي يعود تاسيس بعضها الى خمسينيات وستينيات القرن الماضي.

النمسا والعالم العربي: رحلة عبر الف عام عنوان معرض توثيقي يتواصل في «المركز الثقافي النمساوي» بالقاهرة حتى الثاني عشر من الشهر الجاري. يُضيء المعرض، الذي افتُتح في التاسع والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، من خلال الصُّور والوثائق، على العلاقات بين النمسا والبلاد العربية، خصوصاً مصر.

يُقدّم المغنّي اللبناني **نعيم الأسمر**، عند الثامنة من مساء السبت المقبل، حفلاً في «مترو المدينة» ببيروت، يؤدّي فيه، غناءً وعزفاً على العود، اغنية ام كلثوم «رقّ الحبيب» (1944)، من كلمات احمد رامي والحان محمد القصبجي. يُشاركه **محمد نحّاس** (قانون)، و**طوني جدعون** (كمنجة)، و**احمد الخطيب** (إيقاع)، و**علي عبدو** (تشيلو).